الصاعقة التاسعة والستون: ليالي بعدَ الظاعنين شكولُ(*)

لَيَـــاليّ بعـــدَ الظاعِنين شُكُولُ ... طوالٌ وليلُ العـــاشِـــقينَ طَويلُ(١)

يـبنَّ لـيَ الـبـــــدرَ الـذي لا أُريـدُهُ ... ويخـفينَ بَدراً مـا إليـه سَـبـيـلُ

ومـا عـشتُ منْ بعـدِ الأحبـةِ سَلوَةً ... ولكـنَّني للنـائبـاتِ حَـمُـولُ

وإن رحـيـلاً واحـداً حـالَ بيننا ... وفي الموتِ منْ بعد الرحيلِ رَحيلُ

إذا كـــانَ شمُّ الروحِ أدنى إليكمُ ... فـلا برحـتْني روضـةٌ وقـبُـولُ(٢)

ومـــا شـــرقي بالماءِ إلا تذكـــراً ... لماءٍ بـه أهلُ الحـــبـــيبِ نُزُولُ

يحـــرّمُـــهُ لمعُ الأسنّةِ فَـــوقَـــهُ ... فليسَ لظمـــآنٍ إليـــهِ وُصُـــولُ

أما في النجومِ السائراتِ وغَيرِهَا ... لعـيني على ضـوءِ الصـبـاحِ دَليلُ

ألمْ يرَ هذا الليلُ عـينيْك رؤيتي ... فـتظهـرَ فـيـه رقـةٌ ونُحُـولُ

لقـيتُ بدربِ القلّةِ الفجرَ لقـيـةً ... شـفتْ كـبـدي والليلُ فيـه قَتـيلُ

ويومًـا كـأنَّ الحسنَ فـيـه عـلامـةٌ ... بعـثْتِ بهـا والشـمسُ منك رَسُولُ

ومـا قـبلَ سـيفِ الدولةِ آثارَ عـاشِقٌ ... ولا طُلبتْ عند الظلامِ ذُحُـولُ(٣)

ولكـنّه يأتي بـكلِّ غـــريبَـــةٍ ... تروقُ على استـغـرابِهـا وتَهُـولُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة.

(١) شكول: جمع شكل: شبيه.

(٢) القبول: ريح الصبا.

(٣) الذحول: جمع ذحل: الثأر.

رمى الدربَ بالجردِ الجيادِ إلى العدى ... وما علموا أنَّ السّهامَ خُيولُ

شوائلُ تشوالَ العقاربِ بالقَنَا ... لها مرحٌ منْ تحتِه وصَهيلُ[1]

وما هيَ إلا خطرةٌ عرضتْ لَهُ ... بحرّانَ لبَّتْها قنًا ونُصولُ

همامٌ إذا ما همّ أمضى همومَه ... بأرعنَ وطءُ الموتِ فيه ثقيلُ

وخيلٍ براها الركضُ في كلِّ بلدةٍ ... إذا عرّستْ فيها فليسَ تقيلُ

فلمّا تجلى من دلوكٍ وصنجةٍ ... علتْ كلّ طودٍ رايةٌ ورَعيلُ

على طرقٍ فيها على الطرقِ رِفعَةٌ ... وفي ذكرِها عند الأنيسِ خمولُ

فما شعروا حتّى رأوْها مغيرةً ... قباحًا وأمَّا خلْقُها فجميلُ

سحائبُ يمطرْنَ الحديدَ عليهمُ ... فكلُّ مكانٍ بالسيوفِ غسيلُ

وأمسى السبايا ينتحين بعرقةٍ ... كأنَّ جيوبَ الثاكلاتِ ذيولُ[2]

وعادتْ فظنُّوها بموزارَ قُفّلا ... وليسَ لها إلا الدخولُ قُفُولُ[3]

فخاضتْ نجيعَ القومِ خوضًا كأنه ... بكلِّ نجيعٍ لم تخضْهُ كَفيلُ

تسايرُها النيرانُ في كلِّ منزلٍ ... به القومُ صرعى والديارُ طُلولُ

وكرَّتْ فمرتْ في دماءِ ملطيةٍ ... ملطيةُ أمٌّ للبنينَ ثَكولُ

وأضعفْنَ ما كلّفنهُ من قباقبٍ ... فأضحَى كأنّ الماءَ فيهِ عَليلُ[4]

(١) شوائل: رافعة أذنابها كالعقارب.
(٢) الجيب: ما انفتح من القميص على النحر.
(٣) موزار: حصن ببلاد الروم.
(٤) قباقب: نهر.

ورعْنَ بنا قلبَ الفراتِ كأنما ... تخرُّ عليهِ بالرجالِ سُيُولُ

يُطاردُ فيه موجهُ كلُّ سابحٍ ... سواءٌ عليه غمرةٌ ومَسيلُ

تراهُ كأنَّ الماءَ مرّ بجسمِهِ ... وأقبلَ رأسٌ وحده وتَليلُ[1]

وفي بطنِ هنريطٍ وسمنينَ للظُّبَى ... وصمِّ القنا ممنْ أبدنَ بَديلُ

طلعنَ عليهمْ طلعةً يعرفونَها ... لها غُررٌ ما تَنقَضِي وحُجُولُ

تملُّ الحصونُ الشمُّ طولَ نزالنا ... فتلقي إلينا أهلها وتزولُ

وبتنَ بحصن الرانِ رزحى منَ الوجى ... وكلُّ عزيزٍ للأميرِ ذليلُ

وفي كلِّ نفسٍ ما خلاه ملالةٌ ... وفي كلِّ سيفٍ ما خلاهُ فلولُ

ودونَ سميساطَ المطاميرُ والملا ... وأوديةٌ مجهولةٌ وهُجُولُ

لبسنَ الدجى فيها إلى أرضِ مرعشٍ ... وللرومِ خطبٌ في البلادِ جليلُ[2]

فلما رأوهُ وحدَهُ قبلَ جيشِه ... دروْا أنَّ كلَّ العالمينَ فضولُ

وأنَّ رماحَ الخطِ عنهُ قصيرةٌ ... وأنَّ حديدَ الهندِ عنهُ كليلُ

فأوردَهُمْ صدرَ الحصانِ وسيفَهُ ... فتى بأسُه مثلُ العطاءِ جزيلُ

جوادٌ على العلاتِ بالمالِ كلِّه ... ولكنّه بالدارعينَ بخيلُ

فودَّع قتلاهمْ وشيَّع فلَّهم ... بضربٍ حُزونُ البيضِ فيه سهولُ

---

(١) التليل: العنق.

(٢) مرعش: مدينة بناها سيف الدولة.

على قلبِ قسطنطينَ منه تعجبٌ ... وإن كانَ في ساقيْه منه كبولُ

لعلكَ يومًا يا دمستقُ عائدٌ ... فكمْ هاربٍ مما إليه يؤولُ

نجوتَ بإحدى مهجتيْكَ جريحةً ... وخلّفتَ إحدى مهجتيْكَ تسيلُ

أتسلمُ للخطيةِ ابنَك هاربًا ... ويسكنُ في الدنيا إليكَ خليلُ

بوجهكَ ما أنساكهُ منْ مرشةٍ ... نصيرُكَ منها رنةٌ وعويلُ[1]

أغرَّكم طولُ الجيوشِ وعرضُها ... عليٌّ شروبٌ للجيوشِ أكولُ

إذا لمْ تكن لليثِ إلا فريسةً ... غذاهُ ولم ينفعْك أنك فيلُ

إذا الطعنُ لم تدخلكَ فيه شجاعةٌ ... هي الطعنُ لم يدخلكَ فيه عذولُ

وإن تكنِ الأيامُ أبصرنَ صولهُ ... فقدْ علّم الأيامَ كيفَ تصولُ

فدتْكَ ملوكٌ لم تسمَّ مواضيًا ... فإنكَ ماضي الشفرتينِ صقيلُ

إذا كانَ بعضُ الناسِ سيفًا لدولةٍ ... ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطبولُ

أنا السابقُ الهادي إلى ما أقولُه ... إذ القولُ قبلَ القائلين مقولُ

وما لكلامِ الناسِ فيما يريبني ... أصولٌ ولا للقائليه أصولُ

أعادي على ما يوجبُ الحبَّ للفتى ... وأهدأُ والأفكارُ فيّ تجولُ

سوى وجعِ الحسادِ داو فإنّه ... إذا حلّ في قلبٍ فليسَ يحولُ

ولا تطمعنْ من حاسدٍ في مودةٍ ... وإنْ كنتَ تبديها له وتنيلُ

---

(١) المرشة: الجراحة ترش الدم. الرنّة: الصياح.

وإنا لنلقى الحادثاتِ بأنفسٍ ... كثيرُ الرزايا عندهنّ قليلُ

يهونُ علينا أن تصابَ جسومُنا ... وتسلمَ أعراضٌ لنا وعقولُ

فتيهًا وفخرًا تغلبَ ابنةَ وائلٍ ... فأنتِ لخيرِ الفاخرينَ قبيلُ

يغمُّ عليًّا أن يموتَ عدوُّهُ ... إذا لم تغلْهُ بالأسنةِ غولُ

شريكُ المنايا والنفوسُ غنيمةٌ ... فكلٌّ مماتٍ لم يمتْهُ غلولُ

فإنْ تكنِ الدولاتُ قسمًا فإنها ... لمنْ وردَ الموتَ الزؤامَ تدولُ

لمن هوّنَ الدنيا على النفسِ ساعةً ... وللبيضِ في هامِ الكماةِ صليلُ

obeikandl.com